

المسلمين بحجة أنهم هجموا على الجنود الانكازية ١١ وقد أتمت الدول وضع القواعد الاساسية لحكومة الجزيرة وسيجردن المسيحيين من السلاح وانا نكتب هذه السطور والقلب يضرب والاعضاء ترتجف والروح تناجي جبار السموات والارض بأن يهبنا حكمة وسدادا وقوة واستعدادا وصلاحا واصلاحا تحول يبتنا وبين طمع الطامعين وتمنعنا من كيد المخادين وما ذلك على الله بعزيز

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا

﴿ فأضلونا السبيلا ﴾^(*)

الخلافة الاموية في الاندلس والخلافة الفاطمية في مصر

٣

أثبتنا في المدينين السابقين مجملنا من خبر الخلافة الاموية والخلافة العباسية وألما الى أن عدم سير الخلفاء بهذا النصب العظيم على منهاجه الشرعي هو الذي قوض دعائم السلطة الاسلامية ورعى المسلمين بالفضل والوهن ، وأشرنا الى تمداد الخلافة ونذكر في هذا العدد مجملنا من خبر الخلافة الاموية في الاندلس والخلافة الفاطمية في مصر وما يتبعها ونختتمه بذكر الخلافة التركية فنقول

كان بعد بلاد الاندلس « اسبانيا » عن مركز الخلافة مع صعوبة المواصلات سببا في اختلال النظام ومجرتا لولاها وحكامها على تكليف الرعية فيها فوق وسعهم وكان من ثم من القبائل الحميرية والشامية والمراقية

يتنازع بعضهم بعضا وينفسون على قبائل البربر الافريقية و انتهى ذلك بنزوح
حزب عظيم الى تأليف حكومة مستقلة وفي أطواء ذلك علم القوم ان عبد
الرحمن حفيد الخليفة هشام الاموي فر من السفاح ولجأ الى قبيلة زناتة أعظم
قبائل أفريقية فطمعت اليه الابصار وتعلقت به القلوب ثم استقدموه
فقدم وكان في قرطبة رئيسا من لدن الدولة العباسية يتنازعان السلطة وقيادة
العسكر فقاوماه أولا ثم سلما اليه وبايعه أهل الاندلس على الخلافة سنة
٥١٣٩ و ٧٥٧ م فصارت الخلافة لخلافتين أموية في الغرب وعباسية في الشرق
كان خلفاء الامويين في الاندلس خير خلفاء المسلمين بعد الراشدين
وأقرب في سيرتهم الى الشرع وأبعد عن الفسوق والبدع التي انغمس
فيها أكثر أمويي دمشق وعباسي بغداد فقد كان عبد الرحمن الاول عادلا
مصلحاً وكان ولده هشام حليماً حسناً وكان عبد الرحمن الثاني كجده هشام
في الكرم والحلم ويزيده بالادب والعلم وكان محمد الاول والمندر وعبدالله
عادلين مصلحين وجاء في آثارهم عبد الرحمن الثالث فجمع أشتهات الفضائل
لانه أعطي القوتين العلمية والحربية فاجتهد في رفع منار العلوم والفنون
وادخل في اسبانيا علوم بغداد وبنى المباني العظيمة التي كانت زينة قرطبة
ومفخر الاندلس كلها وانقاد له المغرب الاقصى

سار هؤلاء الخلفاء كما قلنا سيرة حسنة بالنسبة الى غيرهم ولكن روح
الشقاق والخروج على السلطان كان قد تمكن من الامة وطمع في الخلافة كل
من له وشيجة رحم بالخلفاء أو عصبية تناط بمصيبتهم ولو جرى المسلمون
على أصل الاختيار والانتخاب لسلموا من بلاء كبير .

عهد الخليفة عبد الرحمن الاول لولده الثالث هشام الاول فكبر ذلك على

أخويه الكبيرين سليمان وعبد الله فخرجا عليه وحاولا سلب الخلافة منه أو الاستقلال في بعض الاعمال (الولايات) فقتل عليهما وعفا عنهما ثم خرجا بعده على ولده الحاكم وطلبوا قسمة البلاد

أحدث هذا في نفوس العيال طمعا في الاستقلال كانوا يخفونه في ابان القوة خوفا على مناصبهم ويفترون كمال الطاعة والانقياد ويستعدون لنيل مطامعهم سرا ويتربصون بالخلفاء الدوائر فلما آتسوا منهم الضعف ظهر المضر وتوالي العصيان في الاقاليم وكان أشد الولاة عيثا وفسادا في أرض الاندلس والي طرسوس فقد كان شديد الساعد بمساعدة سليمان وأخيه عبد الله على عصيانهما المتوالي الذي أشرنا اليه . ثم أضرم القتال في شمالي البلاد ولاة سر قسطة ومريده وطليلة وحوسقه باغواء رجل يدعى عمر وقد استقل عمر هذا وولده كالب بين بلاد المسلمين والافرنج نحو ثلاث سنين وادعى انه يعتبر الديانتين معا وكان ينتهز الفرصة ويضرم نار الثورة وقد غلبه الخليفة محمد ثم عاد ولم يزل بوالي الثورات حتى زلزل المملكة زلزالا ، وأورثها خبالا ووبالا ، وعصت قرطبة الحاكم بن هشام سنة ٢٠٤ هـ ٨١٧ م حين رتب لكلايته خفراء جعل لهم مكوس ما يرد من عروض التجارة فكانت ثورة اراد الخليفة العقاب عليها فانقض الناس على خفرائه وقتلوا منهم عددا عظيما ، وقد كان الخلفاء بعد عبد الرحمن الاول يتخذون الخفراء من مغاربة الزناتة ثم أحضر عبد الله في سنة ٢٨٨ هـ ٩٠٠ م أرقاء سلاوونية من القسطنطينية فعلموهم حركات السلاح واتخذوهم خدما فاستراحوا بذلك من المشاجرات التي كانت تحصل بين الخدم من العرب والبربر وزاد ثقة الخلفاء بهؤلاء الخدم اعراضهم عن السياسة ولكن لما

وأما الخلل والضعف في الدولة زجوا بأنفسهم في المنازعات السياسية كما فعل اقاتلهم وأمثالهم في المباسيين، وقويت هذه الامراض الداخلية حتى اضعفت مزاج الدولة فلما جاءتها الصدمات الخارجية زعزعتها ثم دمرتها تدميراً قلنا ان سيرة خلفاء الاندلس كانت أحسن من سيرة غيرهم في الجملة ولكن لا نقول انهم ساروا بالخلافة في مهاجها الشرعي وهو جعل الحل والعقد والنكث والقتل وسائر الشؤون العامة مقيدة بالشورى المتبعة كما كان الراشدون ولو فعلوا ذلك لما نزل بهم البلاء ولكن السلطة كانت محصورة في شخص الخليفة ومتى كان الامر كذلك فان الشقاء يكون أقرب الى الأمة من السعادة لانها تكون تابعة لشخص واحد اذا استقامت واستقامت واذا زل زلت أو زالت . وكذلك كان شأن هؤلاء الخلفاء فقد بدأ الضعف والانحطاط فيهم في عهد هشام الثاني لانه كان سيئ التدبير بعيداً عن السياسة والامر كله في يده فمجز عن مقاومة الاعداء فأنحطت مهابة الخلفاء وخضعت شوكتهم واستفحل أمر الثوار والخارجين وكان الافرنج في أثناء ذلك في تقدم مستمر في الاعمال الحربية فتجرؤا على المسلمين وطفقوا يتاوشونهم القتال ويتقصون بلادهم من اطرافها، وأولو الامر مشغولون بالفتن الداخلية وسائر الناس قسمان : الطيلاء وقد أوغلوا في فنون الادب ايغالا صرفهم عن كل ما سواه بل قادم الى الترف والانعاس في النعيم المضعف للنفوس عن الحرب والجهاد . والصناع والزراع وهم أتباع كل ناعق ولا سيما في الامم التي ليس فيها تربية قومية أممية وليس لها رأي عام . وتربية الامم وتعميم العلم والتهديب فيها وان قلنا

من أهم ما جاء به الدين الاسلامي الا أن استبداد الخلفاء والسلاطين واستئثارهم بالامور العامة وتقصير العلماء والمرشدين ذهب بهذين الامرين اللذين هما روح الامم وحياتها

أما الخلافة الفاطمية فقد كانت شر خلافة أخرجت للناس تولدت فيها جرائم الفساد التي قضت على غيرها من أول عهدنا كتفويض السلطة الى الوزراء والقواد واستخدام الدخلاء وجعلهم قواداً . فقد كان الخليفة الثاني « العزيز » أول من اتخذ وزيراً قرن اسمه باسمه وأول من استخدم الترك وجعل منهم قواداً فكانوا سلاً في رثة الدولة نمت جرائمه وريداً وريداً حتى كان من أمره ما سنشير اليه قريباً .

صدمت هذه الخلافة الثورات من أوائل نشأتها أيضاً فقد خرج على الحاكم وهو الخليفة الثالث قوم ادعى زعيمهم انه من ذرية هشام ابن عبد الملك فاشتعلت نار الحروب الداخلية وكانت سجلاً ثم ظفر الحاكم بهم فأما الزعيم شرمية . ومن سببها تم كثرة العهد في الخلافة الى الاحداث فكان ذلك مدعاة لتلاعب الوزراء والقواد بالامر فقد بويح الحاكم وسنه احدى عشرة سنة وكان الوصي عليه الوزير ارجوان فانه قد بالنفوذ وتجاوز الحد في الاستبداد، وولي المستنصر الخلافة في السابعة من عمره وكانت أمه أمة سوداء اشتراها أبوه الظاهر من يهودي فنصرت بالامر كما أحببت وجعلت مولاهم الا اول مستشاراً فكانت الخلافة الاسلامية تدار بيد يهودية، واستغلف الحافظ لدين الله أصغر أولاده اسماعيل الظافر بأمر الله وسنه سبع عشرة سنة فاستبد وزيره العباس بالامر ثم ضاق ذرعاً من استئثار الخليفة واسرافه في الخلاعة والشهوات ورأى ان عاره يمس

شرفه وشرف ولده لامتزاجهما به فأمر ولده ان يكيد له ويقتله ففعل
ثم قتل أخويه به ليبراً من تبعه قتله في أعين الناس وولي ولده الفائز
وعمره خمس سنين وقيل ستان ١١ ومما حكاه عنه المؤرخون انه جمع الامراء
لمبايئته وحمله على كتفه ولما أمرهم بالطاعة والانتقاد له صاحوا بالاجابة
صيحة شديدة منكرة فزع لها الخليفة الحدث فبال على كتف الوزير ا
وصار يصرع بعد ذلك « فيارباہ هل هذه هي خلافة النبوة التي يقوم
بها دينك ويستقيم أمر عبادك ؟ »

وقد انحطت مصر في أيام الفائز هذا حتى كانت تعطي ضريبة عظيمة للصليبيين
في القدس ليكفوا عن الاغارة على غزة وعسقلان . استغاث أهل القصر من
وطأة الوزير عباس الثقيلة بصالح بن رزيك الارمني الاصل الشيعي المغالي فقدم
الى مصر وتولى الوزارة بعد هرب عباس ولما مات الفائز أراد الصالح ان
يولي مكانه شيخا من الفاطميين فأسرله في مجلس المبايعة أحداً صدقته بأن سلفه
في الوزارة كان أحسن تدبيراً منه لانه لم يسلم نفسه لخليفة لم يتجاوز الخمس
سنين فاعتدها نصيحة وسمى الحدث عبد الله بن يوسف خليفة ولقبه
بالعاقد لدين الله فنشأ مستعبداً للوزير صالح وتزوج ابنته وسماه ملكا
ثم سلطانا وأشرب منه الغلو في التشيع وقد أحفظ لقب الملك أو السلطان
قلوب أهل الخليفة على الوزير فأرسلت له عمته من ضربه ضرباً مبرحاً
انتهى بموته (انظر الى الاعتناء بشرف الالقاب الضخمة عند أرباب
العقول السخيفة فقد قتل الصالح لقبه مع انه لم يزد سلطه ونفوذاً)
أما سيرة هؤلاء الخلفاء ووزرائهم فقد كان العزيز أدبياً شجاعاً محباً
للصيد ، وفوض أمر الجند الى جوهر القائد فاتح مصر ومؤسس الازهر

وولى الوزارة يعقوب بن يوسف وقرن اسمه باسمه وأمر أن تكون المكاتبات الرسمية باسمه وتحم الأوامر بختمه فأحسن هذا الوزير السيرة وكان فاضلا مصلحا فحسنت حال البلاد في عهده ولكن تفويض الأمر الى الآحاد اذا جاء بالخير يوما يجيء بالشروء ألبما فقد ولي بمد العزيز ولده الحاكم فطنى الوزير أرجوان الوصي عليه وبغى كما قلنا آتقنا لما رشد الحاكم كان رشده عين النبي فانه لم يكده يستبشر العلم بإنائه (دار الحكمة) وما اجتلبه اليها من الكتب القيمة وابتهاكل كل قارىء وناسخ حتى غشيت العلم والدين والمسلمين والذميين ظلمات من ظلمه واستبداده وكفره وعناده المتولد ذلك كله من مرض في دماغه وغل في عقله

فقد ظهر في عهده مذهب الضرارية فذم به لربهم ضراوا أستاذ حمزة صاحب الرسائل الكثيرة في بيان المذهب الذي يدعو الى عبادة الحاكم فصرهم الحاكم ثم ادعى الألوهية وفتح سجلا لكتابة أسماء المؤمنين به فكتب بالتسليم له نحو سبعة عشر ألفا ولقد كانوا كلهم أو جلهم مكرهين لانه كان يتقم أشد الانتقام ممن يخالفه ولكن مدرسته (دار الحكمة) ودعواته دعاة الفتنة قد أضلا خلقا كثيرا وتأسس بذلك مذهبه وثبت حتى ان في الناس من يعبده حتى اليوم !! فهل كان المسلمون بهذا الاستسلام مهتدين بهدي الاسلام !! حاش لله . أليس هؤلاء الرؤساء الضالون هم الذين شوها وجه الدين وانحرفوا بأهله عن صراطه المستقيم ؟ ألا يحق لمجموع الأمة أن يقول في هؤلاء السادة (ربنا انا أظننا سادتنا وكبراهنا فأضلونا السبيل . ربنا آثم ضمفين من العذاب والعنهم لنا كبريا) ؟

والحاصل ان الحاكم كان يسفك الدماء بغير سبب وبظلم أهل الذمة

بدون سند فقد هدم الكنائس في مصر والقدس ثم بنى كنيسة القيامة على نفته وكان يأمر وينهي بما لا يعقل له معنى كالامر بسب السلف قولا وكتابة على الجدر بألوان مختلفة وكالهي عن أكل الملوخية والجرجير وبيع الزبيب ، وقد جاء من بعده المستنصر وكان إذا إمعة فاسقا ضعيف الرأي فكانت الخلافة اسما بلا معنى وفي عهده ادعى رجل أنه هو الحاكم وكان يشبهه قومه واجتمعوا عند قصر المستنصر وصاحوا هذا هو الحاكم فكانت بهم الدولة .

وقد استبدت أم المستنصر بالاحكام وتلاجت بتفسير الوزارة وخرج معز الدولة والي حلب على الخليفة وحاول الاستقلال فأرسل اليه الجيوش المصرية فقلبا ثم لم يشأ الهجوم على مصر ولكنه أرسل زوجته وابنه ليمقدا الصلح مع الخليفة فاستمال الخليفة جاهلها البارع واستنزه عن حلب لزوجها . . . وخرج عليه الامير معز بن باديس في الغرب وجعل الخطبة باسم القائم بأمر الله العباسي خاربه جيش المستنصر ست سنوات فدوخه ولكن نفوذ المستنصر اتشر حتى ان أمير اليمن عليا بن محمد الصالحى خطب باسمه بل ان الامير ارسلان السباسيري قائد جيوش الخليفة القائم بأمر الله العباسي رفض الطاعة لخليفته ورفع في بغداد العلم الفاطمي الابيض ودعا للمستنصر على منابرها سنة ٥٠٠هـ ، وفعل مثله أهل واسط والكوفة وأكثر المدن الشرقية الكبيرة واضطر القائم بأمر الله ان يوقع على صلح يتضمن ان الحق في الخلافة كله للخلفاء الفاطميين ثم دب نفوذ المستنصر الى خراسان وشرقي بلاد فارس ولولا ان حاكم تلك البلاد رأى ان رسوخ قدم الملوين هناك

يضره فأوقف سير نفوذهم وسار بجيشه الى بغداد فأعاد السلطة العباسية - لبلغ نفوذهم آخر بلاد العباسيين وأما مكة المكرمة فكانت تتنازعها السلطان فتلب هذه تارة وهذه تارة

لما قوي الظل استفعل أمر الأتراك وكانت أم الخليفة استكثرت من أبناء جنسها السودان وجطتهم مناصبين للأتراك فسفكت بينهما دماء غزيرة وكانت بلاد مصر قسمين الوجه القبلي « الصيد » في قبضة السودان والوجه البحري في قبضة ناصر الدولة الوزير، وقد ضيق هذا على الخليفة بعد ما استنزف الأتراك ثروته ونهبوا قصره حتى لم يبق له ما يلبسه الا الاسمال الخلفة البالية التي لا تكاد نسترعورته ثم أشفق عليه فعين له مئة دينار في الشهر . ولما لم يبق للأتراك ما ينهبون اقتسموا المكتبة العلمية وكان فيها نحو عشرين ألف مجلد وكان لحاكم الاسكندرية ابن المحرق قسم منها بعشوا به اليه فنهبه المربان وأخذوا جلود الكتب للاخذية وأحرقوا الباقي

وقد اغتم بدر الجمالي نهزة الظل فاستقل في سوريا ثم استدعاه المستنصر للقاهرة مستنصرا به فجاءها وقتل امراءها عن آخرهم ثم أسرف في قتل أمراء القطر وأصحاب النفوذ فيه حتى أخضع البلاد فقلده الخليفة السيف والعلم وامارة الجيوش فانفرد بالحكم وسار سيرة حسنة في اصلاح البلاد وترقية الزراعة والتجارة وتشيد المباني الضخمة من المساجد وغيرها .

وقد خرجت صقلية (سيسيليا) في عهد المستنصر من سلطة المسلمين لاهمال أمرها مع خصها وعظما

وكان الأمر باحكام الله مولعا باللاهية منر ما بالنساء ولا سيما البدويات فقتله الباطنية وهو قاصد زيارة معشوقة له بدوية . وتولى بعده ابن عمه

الحافظ لدين الله وكان غرا بعيدا من السياسة ومذاهبها مقتنعا بالسلطة الدينية (الكاذبة) ومفوضا أمر الادارة الى الوزراء الذين قتل حسادهم خيارهم لتقريبهم منه . وتولى بعد الحافظ ابنه الظاهر بأمر الله كما قلنا وكان منقطعا لسماع القيان والاستمتاع بالحسان غير مبال بما يهدد شرقي ملكه من الصليبيين وغربيه من أمير صقلية الذي زحف الى مصر . ثم انتهى هذا الخلل بمجيء الملك الحازم صلاح الدين الايوبي الذي أزال هذه الخلافة الفاسدة المضرة وأسس الدولة الايوبية خاضعة للخلافة العباسية الاسمية . وأقبح شيء حصل في خلافتهم الدعوة الى مذهب الباطنية ، فان الدعوة الى الدين من مقوماته وقد أهملها المسلمون في كل عصر وقام بها دعاة الفاطميين لاجل ابطال الاسلام وسنشرح ذلك في محله ان شاء الله تعالى وأما العثمانيون فلم يكن قيامهم بدعوى الخلافة الدينية بل قاموا بمصيبة الملك وأول من فطن للرياسة الدينية عاقل زمانه السلطان سليم ياوز، ولو تم له ما يمتنى لبني للاسلام بناء لا ينقص ، فقد كان من أمانيه جعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية ومد نفوذه في البلاد الاسلامية كبلاد العرب والهند وسنين ذلك وفوائده في فرصة أخرى ثم لم يكن لاسم الخلافة شأن في آل عثمان حتى جاء مولانا السلطان الحالي عبد الحميد خان أيده الله تعالى فاجي هذا اللقب الشريف واجتهد في جمع كلمة المسلمين عليه وسنكتب مقالة مخصوصة في هذا الموضوع نين فيها رأينا فيما تحي به الخلافة الاسلامية الحياة الطيبة ان شاء الله تعالى